رسالة بولس وبرنابا

الأب نجيب ابراهيم الفرنسيسكاني

بولس في انطاكية

مغارة القديس بطرس في أنطاكية

بعد زيارته بطرس في اورشليم، يوجز بولس الفترة التالية قبل رجوعه الى المدينة المقدّسة بهذه الكلمات: «ثُمَّ أَتَيتُ بِلادَ سورِيَةَ وقيليقِيَة، ولَم أَكُنْ مَعروفَ الوَجهِ في كَنائِسِ المَسيحِ الَّتي في اليَهودِيَّة، بل سَمِعوا فقَط أَنَ الَّذي كانَ يَضطَهِدُنا بالأَمْسِ صارَ اليَومَ يُبشِّرُ بالإِيمانِ الَّذي كانَ يَحاوِلُ بالأَمْسِ تَدْميرَه، فأَخَذوا يُمَجِّدونَ اللهَ في أَمْري» (غلاطية ١: ٢١ – ٢٤).

وفي الفصل الثاني من الرسالة إلى أهل غلاطية يخبر بولس عن عودته إلى أورشليم بعد أربع عشرة سنة (٢: ١). في هذه الفترة الطويلة عمل بولس في حقل الرسالة مبشّرا بالإنجيل ولا نجد تفاصيل ما جرى إلا في سفر اعمال الرسل.

اعمال الرسل ١١: ١٩ – ٢٦: «وأَمَّا الَّذينَ تَشتَّتوا بِسَبَبِ الضِّيقِ الَّذي وَقَعَ بِشَأنِ إِسطفانُس، فإِنَّهُم انتَقَلوا إِلى فِينيقِيةَ وقُبرُسَ وأَنطاكِية، لا يُكَلِّمونَ أَحَدًا بِكَلِمَةِ اللهِ إِلاَّ اليَهود. غَيرَ أَنَّه كانَ مِنهُم قُبرُسِيُّونَ وقيرينِيُّون، فلَمَّا قَدِموا أَنطاكِيَة، أَخَذوا يُكَلِّمونَ اليونانِيِّينَ أَيضًا ويُبَشِّرونَهم بالرَّبِّ يسوع. وكانت يَدُ الرَّبِّ مَعَهم فآمَنَ مِنهُم عَدَدٌ كثير فاهتَدَوا إِلى الرَّبّ. فبَلَغَ خَبَرُهم مَسامِعَ الكَنيسةِ الَّتي في أُورَشَليم، فأَوفَدوا بَرنابا إِلى أَنطاكِية، فلَمَّا وَصَلَ ورأَى نِعمَةَ اللهِ، فَرِحَ وحَثَّهم جَميعًا على التَّمَسُّكِ بِالرَّبِّ مِن صَميمِ القَلب، لأَنَّه كانَ رَجُلاً صالِحًا، مُمتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ والإِيمان. فانضمَّ إِلى الرَّبِّ خَلْقٌ كَثير. فمَضى إِلى طَرَسُوسَ يَبحَثُ عن شاوُل، فلَمَّا وَجَدَه جاءَ بِه إِلى أَنطاكِية، فأَقاما سَنَةً كامِلةً يَعمَلانِ مَعًا في هذِهِ الكَنيسَة ويُعَلِّمانِ خَلقًا كثيرًا. وفي أَنطاكِيةَ سُمِّيَ التَّلاميذُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مَسيحِيِّين».

يرد هذا الخبر عن تبشير اليونانيين في انطاكية بعد ان فتح الرب الباب امام بطرس والرسل لحمل الإنجيل إلى كل الناس، فكانت البداية في عماد قرنيليوس والوثنيين الأولّين. قال الإخوة في أورشليم: «وَهَبَ اللهُ إِذًا لِلوَثَنِيِّينَ أَيضًا التَّوبَةَ التي تُؤَدِّي إِلى الحَياة» (اعمال ١١: ١٨).

لا يأتي كاتب اعمال الرسل على الرسالة في منطقة قيليقيا، رغم اهمية طرسوس، المدينة التي وُلد فيها بولس، بل يسلّط الضوء على عاصمة سوريا، مدينة انطاكيا، التي كانت مقرّ الحكم الروماني والمركز الاستراتيجي للاتصال بين الشرق والغرب. هنا نشأت اول جماعة مسيحية مختلطة، مؤلّفة من يهود ووثنيين قبلوا الانجيل الّذي بشّر به المسيحيّون من أصل يهوديّ يونانيّ، الهاربون من أورشليم بعد استشهاد اسطفانوس.

أسّس سلوقس الأول نيقانور مدينة أنطاكية سنة ٣٠٠ ق.م. لتكون عاصمة سوريا مملكة السلوقيين. وبعد الفتح الروماني للشرق مع الامبراطور بومبيوس سنة ٦٤ قبل الميلاد، اصبحت عاصمة اقليم سوريا. وكانت انطاكية المدينة الثالثة في الامبراطورية الرومانية بعد روما والاسكندرية. تقع المدينة على ضفاف العاصي وتبعد ٣٠ كلم عن البحر الأبيض المتوسط حيث يصبّ النهر عند مرفأ مدينة سلوقية. لتكون بذلك نقطة تواصل بين الشرق والغرب، ومركزاً تجارياً مهمّاً، يقطنها نصف مليون نسمة، من بينهم اتباع الجالية اليهودية التي يرجع عهدها الى القرن الثالث قبل الميلاد. حسب المؤرخين، كان يبلغ عدد اليهود في المدينة حوالي عشرين الى خمسين الف نسمة.

في انطاكية إذاً بدأ بعض الإخوة تبشير الوثنيين، بعد اقتصار اعلان كلمة الله لليهود فقط خلال ترحالهم، بسبب الاضطهاد، من أورشليم إلى فينيقيا وقبرص، وصولاً إلى انطاكية. يؤكّد كاتب اعمال الرسل نجاح رسالة التلاميذ، إذ «كانت يَدُ الرَّبِّ معَهم فآمَن منهُم عَدَدٌ كثير فَاهتَدَوا إِلى الرَّبّ» (١١: ٢١). يحدّد لوقا هوية هؤلاء التلاميذ: قبرسيّون وقيرينيّون، أي من يهود الشتات الّذين كانوا يتكلّمون اليونانية مثل بولس من طرسوس.

طرحت نشأة الجماعة المسيحية الجديدة في انطاكية مسألة تنظيم العلاقة بين المسيحيين من اصل يهودي والمسيحيين من اصل وثني. فأوفدت كنيسة أورشليم برنابا إلى انطاكية من أجل تأسيس الشركة بين الجماعتين. فكان حضور برنابا مهمّاً لتنظيم الكنيسة في انطاكية وتطوّرها. وبهذه الصفة الرسولية يقدّم لوقا شخصية برنابا: «فلَمَّا وَصَلَ ورأَى نعمَةَ الله، فَرِحَ وحَثَّهم جَميعًا على التَّمَسُّكِ بِالرَّبِّ مِن صَميمِ القَلب، لأَنَّه كانَ رَجُلاً صالِحًا، مُمتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ والإِيمان» (١١: ٢٤).

يذكر لوقا هذا الرسول في الفصل الرابع حيث يقول أنّه لاويّ قبرسيّ اسمه يوسف،

مغارة القديس بطرس في أنطاكية (من الخارج)

ولقّبه الرسل برنابا، أي ابن العزاء، أي من يعزّي بالنصح والإرشاد. وهذا ما سيقوم به في انطاكية حيث كان «يحثّ» الجميع على التمسّك بالرب من صميم القلب.

أراد الله النجاح لهذا الانفتاح على العالم الوثني، «فانضمّ إلى الرّبّ خلقٌ كثير». يظهر بولس في هذه المرحلة من نموّ ونضج الكنيسة في انطاكية. هنا أيضاً كان لبرنابا اليد الطولى في جذب بولس إلى هذه الرسالة المميّزة في انطاكية، حيث «أقاما سَنَةً كامِلةً يَعمَلانِ مَعًا في هذِهِ الكَنيسَة وُيعَلِّمانِ خَلقًا كثيرًا» (١١ : ٢٦). محور عمل الرسولين خلال سنة كاملة هو «التعليم». وما كان التعليم يخصّ فقط المسيحيين، حسب اعمال الرسل، بل كان موجّها أيضاً إلى كلّ الناس ليُقبلوا على الإيمان (راجع ٥ : ٤٢).

يذكر لوقا حدثاً فريداً في تاريخ الكنيسة، يجدر بكلّ مسيحيّ حفظه: «وفي أَنطاكِيةَ سُمِّيَ التَّلاميذُ أَوَّلَ مَرَّةٍ مَسيحِيِّين» (١١ : ٢٦). «خريستيانوي»، مسيحيّون. إنّها تسمية من قبل من هم خارج الكنيسة والهدف منها تمييزهم عن اليهود والمجموعات الدينية الأخرى. «مسيحيّون» أي أولئك الّذين يتبعون المسيح واللقب كان قد أصبح اسم علم لدى الناس. لم يكن اليهود من أعطوا هذا الاسم للتلاميذ لأنّه يتضمّن اعترافاً بأنّ يسوع هو المسيح. فالوثنيون اليونان هم الذين اطلقوا هذه التسميّة على اتباع يسوع في انطاكية. لا بل يمكن أن يكون حكّام المدينة قد سمّوا التلاميذ «مسيحيين» بهدف مراقبة الحركات الدينية الناشئة.

يتابع لوقا روايته فيذكر المساعدات التي أرسلها التلاميذ في أنطاكية إلى كنيسة أورشليم «بأيدي برنابا وشاول» (١١ : ٢٩ – ٣٠). وكانت المبادرة نتيجة نبؤة أغابس عن مجاعة سوف تحلّ في كلّ المعمورة (١١ : ٢٧ – ٢٨). يبدو أنّ الخبر هو تأكيد على ما كان يحصل عامّة في الكنيسة الأولى ومناسبة لذكر يوحنا مرقس الذي سوف يرافق برنابا وبولس في الرحلة الرسولية الأولى (١٢ : ٢٤).

كيف كان الناس يسافرون في أيّام بولس؟

ساهم الوضع التاريخي والسياسي والثقافي في انتقال بولس ورفاقه بسهولة بين المدن

والمناطق المختلفة في منطقة الشرق الاوسط وآسيا الصغرى واليونان حتى روما وربما اسبانيا. ذلك أنّ الثقافة اليونانية كانت قد انتشرت في كلّ هذه المناطق منذ احتلالها على يد الاسكندر الكبير، وسلطة روما السياسية والعسكرية وحّدتها في كيان واحد. سهّلت الوحدة الثقافية والسياسية تنقلات بولس في رحلاته الرسولية. كان بولس مواطناً رومانياً يجيد اللغة اليونانية ويعرف عقلية الناس وثقافتهم واعتقاداتهم الدينية وكان باستطاعته التبشّير بالانجيل بحرية في كلّ مكان.

وما ساعد بولس والرسل في سفرهم هو شبكة الطرق العظيمة في البرّ والبحر التي أنشأتها الامبراطورية الرومانية. فالوحدة الادارية بين كلّ هذه المناطق كانت مبنية على سهولة التواصل بينها وبين روما. فكانت كلّ الطرق تنطلق من روما الى سائر البلدان وحتى اقاصي الشرق. كما كان الناس يكثرون من السفر في البحر على متن السفن، ولكن السفر في البحر كان محدوداً في الزمن بين شهري نيسان وتشرين الثاني. وعن مصاعب السفر في البرّ والبحر يتكلّم بولس في رسالته الثانية الى اهل قورنتس:

« هُم خَدَمُ المسيح؟ ـ أَقولُ قَولَ أَحمَق – وأَنا أَفوقُهُم: أَفوقُهُم في المَتاعِب، أَفوقُهُم في دُخولِ السُّجون، أَفوقُهُم كَثيرًا جِدًّا في تَحَمُّلِ الجَلْد، في التَّعَرُّضِ لأَخطارِ المَوتِ مرارًا. جَلَدَني اليَهودُ خَمسَ مَرَّاتٍ أَربَعينَ جَلْدَةً إِلاَّ واحِدة، ضُرِبتُ بِالعِصِيِّ ثَلاثَ مَرَّات، رُجِمتُ مَرَّةً واحِدَة. انكَسَرَت بِيَ السَّفينَةُ ثَلاثَ مَرَّات، قَضَيتُ لَيلَةً ونَهارًا في عُرْضِ البَحْر. أَسفارٌ مُتَعَدِّدة، أَخطارٌ مِنَ الأَنهار، أَخطارٌ مِنَ اللُّصوص، أَخطارٌ مِن بَني قَومي، أَخطارٌ مِنَ الوَثَنِيِّين، أَخطارٌ في المَدينة، أَخطارٌ في البَرِّيَّة، أَخطارٌ في البَحْر، أَخطارٌ مِنَ الإِخوَةِ الكَذَّابين، جَهْدٌ وكَدّ، سَهَرٌ كَثير، جُوعٌ وعَطَش، صَومٌ كَثير، بَرْدٌ وعُرْيٌ، فَضلاً عن سائرِ الأُمورِ مِن هَمِّي اليَومِيِّ والاهتِمامِ بِجَميعِ الكَنائِس». (١١ : ٢٣ – ٢٨).

رسالة بولس وبرنابا في قبرص (اعمال ١٣ : ١ – ١٢)

انطلق المشروع الرسولي الكبير من انطاكية، حيث نضج في جوّ روحيّ رائع ساهم في إحيائه بعض الاشخاص ذوي الهبات الروحية المميّزة والثقافة العالية. لوقا، كاتب اعمال الرسل، وهو حسب التقليد من انطاكية، يقول: «وكانَ في الكَنيسةِ الَّتي في أَنطاكية بَعضُ الأَنبياء والمُعَلِّمين، هم بَرْنابا وسِمْعانُ الَّذي يُدْعى نيجِر، ولوقيوسُ القيرينيّ، ومَنَايِنُ الَّذي رُبِّيَ مع أَميرِ الرُّبعِ هيرودُس، وشاوُل» (١٣ : ١). الاول والاخير في اللائحة، برنابا وشاول، كان قد ذكر عملَهما الرسولي في كنيسة انطاكية. خلال الصلاة، اختار الروح القدس هذين الرسولين للقيام

كاتدرائية القديس بولس في روما

برسالة جديدة خارج حدود سوريا: «أَفرِدوا بَرْنابا وشاوُلَ للعَمَلِ الَّذي دَعَوتُهما إِليه» (١٣: ٢). أي إنّ الجماعة اجتمعت للصلاة من أجل فهم إرادة الله في ما يخصّ الرسالة الجديدة، فقام أحد «الانبياء» وأعلن بوحي من الروح القدس اختيار الرسولين. «فوضعوا أيديهم عليهما وصرفوهما»، أي إنّ الجماعة ثبتّت بشكل علنيّ الرجلين في الرسالة الموكلة إليهما.

وبدأ الرسولان رحلتهما التبشيرية في قبرس: «فلَمَّا كانا مُوفَدَينِ مِنَ الرُّوحِ القُدُس، نَزَلا إِلى سَلوقيَّة ثُمَّ أَبْحَرا مِنها إِلى قُبرُس» (١٣: ٤). ينوّه لوقا في هذه الآية على الطبيعة الرسولية النبوية بامتياز لهذه الرحلة، فالروح القدس هو الّذي أوفد برنابا وبولس إلى قبرس. سوف يتكلّم بولس عن دعوته بتعابير نبوية مشابهة للتنويه عن دعوته الرسولية: «من بولُسَ عَبْدِ المسيح يسوع دُعِيَ لِيَكونَ رَسولاً وأُفرِدَ لِيُعلِنَ بِشارةَ الله» (روما ١: ١). من الواضح أن الله هو الّذي دعا وأفرد بولس ليعلن البشارة.

سنة ٤٣ او ٤٤ م وصل الرسل الثلاث، بولس وبرنابا ويوحنا مرقس إلى جزيرة قبرس. قبرس هي اكبر الجزر في شرق البحر الابيض المتوسط. يبلغ طولها ٢٢٥ كلم وعرضها ٩٦ كلم. تقع فيها سلسلتان من الجبال وبينهما سهل «مسّاريا». تغنّى الكتّاب الاقدمون بخصوبة ارضها وبغاباتها. ولكن يبدو في الواقع أنّ قلّة المياه في الجزيرة لا تساعد على الزراعة. والمورد الطبيعي المهم فيها هو مناجم النحاس المميّز، فدعي «كوبروم» و«كيبريوم». يرد اسم «قبرس» لاول مرة في الكتاب المقدّس في ٢مكابيين ١٠: ١٣ (راجع ١مكابيين ١٥: ٢٣) حيث يُحكى عن زمن البطالسة الذين كانت الجزيرة تخصّهم. سنة ٢٧ م اصبحت قبرس اقليماً رومانياً مستقلاً. في زمن بولس لم تكن قبرس كثيرة السكان، ولا يتعدّى عدد المراكز السكنية فيها ١٥ مركزاً، من اشهرها بافوس وسلامين.

أبحر الرسل، إذاً، من مرفأ سلوقية إلى مرفأ سلامين. كان يقطن سلامين جالية يهودية

كبيرة منذ القرن الثاني ق. م. عندما حصل هيرودس الكبير من روما على حقّ الاستفادة من نصف كميّة النحاس في قبرس، زاد عدد اليهود فيها، وبالتالي كان فيها مجامع عدّة: «فلَمَّا بلَغا سَلامين، أَخَذا يُبَشِّران بِكَلِمَةِ اللهِ في مَجامِعِ اليَهود، وكانَ معَهما يوحَنَّا مُعاوِنًا لَهما» (١٣: ٥). تدلّ كلمة «معاون» على الاهتمام بالمساعدة إما في الكتابة او بالناحية المادية. لم يتوقّف الرسل طويلاً في سلامين، لأنّ هدفهم الوصول إلى العاصمة، بافوس، على الشاطئ الغربي للجزيرة: «فَاجتازا الجَزيرَةَ كُلَّها حتَّى بافُس». في ذلك الزمان اشتهرت بافوس بمعبد «أفروديت».

اول شخص التقوا به في بافوس هو ساحر نبيّ كاذب من اليهود اسمه بريشوع (١٣: ٦) وكان هذا من حاشية الحاكم الروماني سرجيوس بولس. على عادته في تقديم الّذين يقبلون البشرى السّارة، ينوّه لوقا عن محاسن الحاكم سرجيوس بولس فيقول: «وكانَ هذا رجُلاً عاقِلاً. فدَعا بَرْنابا وشاوُل ورَغِبَ إِلَيهما في أَن يَسمَعَ كَلِمَةَ الله» (١٣: ٧).

في حضرة الحاكم حصل خلاف بين بولس وبريشوع، إذ قاوم هذا الاخير الرسولين ليصرف الحاكم عن الإيمان. يذكر لوقا، ولآخر مرة اسم «شاول» ولأول مرة اسمه اليوناني «بولس»: «فقاوَمَهُما عَليمُ السَّاحِر (وهذا معنى اسمه) مُحاوِلاً أَن يَصرِفَ الحاكِمَ عنِ الإِيمان. وكانَ شاوُلُ (ويُدعى أَيضًا بولُس) مُمتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ القُدُسِ فحَدَّقَ إِلَيه وقال: «أَيُّها المُمتَلِئُ مِن كُلِّ غِشٍّ وخِداع، يا ابنَ إِبليس، ويا عَدُوَّ كُلِّ بِرّ، أَما تَكُفُّ عن تَعويجِ طُرُقِ الرَّبِّ القَويمَة؟ هاهي ذي يَدُ الرَّبِّ علَيكَ فتَصيرُ أَعْمى لا تُبصِرُ نورَ الشَّمْسِ إِلى حين». فَهَبَطَت علَيه مِن وَقْتِه ظُلُماتٌ حالِكة، فجَعَلَ يَدورُ في كُلِّ جِهَةٍ مُلتَمِسًا مَن يَقودُه بيَدِه. فلَمَّا رأَى الحاكِمُ ما جَرى، آمَنَ وقَد أُعجِبَ بِتَعْليمِ الرَّبّ» (١٣: ٨ – ١٢).

نور وظلمة يتصارعان امام العالم لينتصر نور الايمان بالانجيل على كذب السحرة. يأخذ بولس المبادرة في مواجهة الغشّ والخداع، فيظهر بعدها في رأس لائحة المرسلين، حسب باقي رواية اعمال الرسل. مثل بطرس الّذي بشّر قورنليوس قائد المائة في قيصرية البحر، يُبشّر بولس الحاكم الروماني سرجيوس بولس ليتوّج بذلك رسالته في قبرس بالنجاح. وكما واجه بطرس سمعان الساحر في السامرة (اعمال ٨: ١٨ – ٢٣)، كذلك فعل بولس مع بريشوع الساحر النبيّ الكذّاب. فكانت إصابة هذا الاخير بالعمى بمثابة أمثولة لمن يعارض نور البشارة. ألم يحصل هذا مع بولس نفسه على طريق دمشق، عندما راح يضطهد كنيسة الله؟ أما اليوم، فبولس يحمل نور البشرى السّارة إلى جميع الأمم، وأمامه تندحر جيوش الظلمة.

تتمّة المقال تتبع في الصفحة ٣٢

(تتمّة المقال الافتتاحي)

في أنطاكية بيسيدية (اعمال ١٣ : ٥٢)

من الآن فصاعداً يترأس بولس الرسالة، فأبحر الرسولان، ومعهم يوحنا مرقس، من پافوس إلى برجة بمفيلية، التي تقع على الشاطئ الجنوبي لآسيا الصغرى. وبرجة، عاصمة منطقة بمفيلية، تبعد عن البحر حوالي ١٥ كلم، كان على الرسل اجتيازها للوصول إلى المدينة. في برجة حصل شيء ما جعل يوحنا مرقس يترك الرسولين ليعود إلى أورشليم. لا نعرف بالتأكيد سبب هذا الانفصال، فلا يسعنا سوف الافتراض المبني على بعض المعطيات. كان يوحنا مرقس من أنسباء برنابا، كما تقدّمه الرسالة إلى أهل قولسي: «مرقس ابن عمّ برنابا» (٤ : ١٠)، لذلك يمكن أن يكون قد انسحب من الرسالة بسبب ترؤس بولس أو وبكلّ بساطة بسبب صعوبة الرحلة، إذ كان على الرسل أن يجتازوا أعالي جبال طورس قبل الوصول إلى أنطاكية.

سوف يترك هذا الحدث أثراً على العلاقة بين بولس وبرنابا. فبعد مجمع أورشليم، يقترح بولس على برنابا العودة بالرسالة إلى الجماعات التي أسّساها في الرحلة الأولى. أراد برنابا اصطحاب يوحنا مرقس. ولكن بولس رفض اصطحابه فافترق الرسولان حسب رواية اعمال الرسل (١٣ : ٣٦ – ٤١): «وبَعدَ بِضعَةِ أَيَّام، قالَ بولُسُ لِبَرْنابا: «لِنَعُدْ فنَتَفَقَّدَ الإِخوَةَ في كُلِّ مَدينَةٍ بَشَّرْنا فيها بِكَلِمَةِ الرَّبّ، وَنرى كَيفَ أَحوالُهم». فأَرادَ بَرْنابا أَن يَستَصْحِبَ يوحَنَّا الَّذي يُقالُ لَه مَرقُس، ورأَى بولُسُ أَنَّه ليسَ مِنَ الحَقِّ أَن يَستَصْحِبَ مَن فارقَهما في بَمْفيلية ولَم يُرافِقْهما للعَمَلِ مَعَهما. فوَقَعَ بَينَهما خِلافٌ شديدٌ حتَّى فارَقَ أَحَدُهما الآخرَ فاستَصحَبَ بَرْنابا مَرقُس وأَبحَرَ إِلى قُبرُس. وأَمَّا بولُس فاختارَ سيلا ومَضى، بَعدَما استودَعَه الإِخوَةُ نِعمَةَ الرَّبّ، فطافَ سورِيَةَ وقيليقية يُثَبِّتُ الكَنائس».

يقول لوقا بوضوح أنّه قد وقع بين الرسولين خلاف شديد دفعهما إلى اختيار وجهتين مختلفتين، برنابا مع يوحنا مرقس إلى قبرس، بينما بولس كان قد اختار سيلا لينطلق في رحلته الثانية. ولكن الفرقة لم تدم بين الأحبّة، إذ يذكر بولس مرقس من بين معاونيه في الرسالة إلى فيلمون (٢٤) وإلى أهل قولسي (٤ : ١٠) وفي الثانية إلى طيموتاوس (٤ : ١١).

بعد انسحاب يوحنا مرقس من برجة، تابع الرسولان الرحلة وكان عليهما اجتياز ٢٦٠ كلم للوصول إلى أنطاكية بيسيدية، بعد اجتياز سلسلة جبال طورس. والسفر في هذه الطرقات الوعرة بين الوديان والجبال لا تخلو من المخاطر رغم اجتهاد عسكر الرومان لحماية المسافرين من قبائل قطّاع الطرق. سوف يذكر بولس نوعية هذه المخاطر في الرسالة الثانية إلى أهل قورنتس قائلا: «أخطار من الأنهار، أخطار من اللّصوص» (١١ : ٢٦).

القديس بولس يعظ يبشّر بالإنجيل، للفنان جوفاني بانيني

بعد مضي حوالي عشرة أيّام وصل الرسولان إلى أنطاكية بسيدية الواقعة على هضبة تعلو الف ومائة متر عن سطح البحر، في منطقة البحيرات: أغريدير وكاراليس (اليوم تدعى بيسهير) ويحدّها من الشمال الشرقي جبل داكج الذي يرتفع ٢٩٨٠ متر. نجد آثار المدينة القديمة بالقرب من قرية يالفاس. أسّس المدينة سلوقس الأول نيقاتور سنة ٢٨٠ ق. م. للتمييز بينها وبين أنطاكية الأخرى دعاها الأقدمون أنطاكية بسيدية أو قرب بسيدية رغم أنّها تقع في المنطقة التي يسكنها أهل فريجية. في عهد بولس كانت المدينة مركز الحكم الروماني لمنطقة غلاطية الجنوبية.

كان اليهود يتواجدون في المنطقة منذ بداية العصر الهللينى. فكان في المدينة مجمع لذلك لمّا وصلا إليها دخلا المجمع يوم السبت للاشتراك في الصلوات. «بعد التّلاوة للشريعة والأنبياء، أرسل إليهما رؤساءُ المجمع يقولون: «أيّها الإخوان، إذا كان عندكما كلامُ وعظٍ للشّعب، فقولاه» (١٣: ١٥). كانت تبدأ صلاة السبت ببعض التبريكات، يليها تلاوة صلاة «شمع»، أي «اسمع» المأخوذة من سفر تثنية الاشتراع (٦: ٤ – ٥). ومن ثمّ يُقرأ نصّ من الشريعة، أي من اسفار الكتاب المقدّس الخمس الأولى، وبعدها قراءة من أحد الأنبياء. في مجمع أنطاكية كان لا بدّ أن تكون القراءة من الترجمة اليونانية للكتاب المقدّس، فاليونانية لغة يهود الشتات. كان باستطاعة كل يهوديّ بالغ إلقاء عظة في جماعة الصلاة. لبّى بولس الدعوة وألقى عظة.

تشبه عظة بولس عظات بطرس واسطفانوس إلى اليهود. في القسم الأول (١٣: ١٦ – ٢٥) تذكير بمواعيد الله في العهد القديم وقصة الخلاص ابتداء من اختيار الآباء حتى يوحنا المعمدان، الّذي مهّد الطريق ليسوع. وفي القسم الآخر (١٣: ٢٦ – ٣٩) اعلان بأنّ يسوع هو المسيح المنتظر، الّذي تألّم ومات وقام. يختم بولس خطبته بإنذار مأخوذ من الكتاب المقدّس. ولكن ما يميّز خطبة بولس أمران. أولاً يبشّر بولس بأنّ يسوع هو ابن الله على أساس القيامة:

« ونَحنُ أَيضًا نُبَشِّرُكُم بِأَنَّ ما وُعِدَ به آباؤُنا قد أَتَمَّه اللهُ لَنا نَحنُ أَبناءَهُم، إِذ أَقامَ يَسوعَ كما كُتِبَ في المَزمورِ الثَّاني: أَنتَ ابني، وَأَنا اليَومَ وَلَدتُكَ » (١٣ : ٣٢ – ٣٣). ثانياً يدعو بولس سامعيه على البحث عن « البرّ » بواسطة الإيمان بيسوع المسيح: « فاعلَموا، أَيُّها الإِخوَة، أَنَّكم عن يَدِه تُبَشَّرونَ بِغُفرانِ الخَطايا، وأَنَّ كُلَّ ما لم تَستَطيعوا أَن تُبَرَّروا منه بِشَريعةِ موسى، به يُبَرَّرُ منه كُلُّ مَن آمَن » (١٣ : ٣٨). وهذا موضوع أساسيّ في تعليم بولس الّذي كان يشرح في رسائله أنّ البرّ لا يأتي من اعمال الشريعة بل من الإيمان بيسوع المسيح.

كان لخطبة بولس الوقع الحسن على مسامع الناس، فسألوا الرسولين العودة إليهم في السبت المقبل: « وبَينَما هُما خارِجان سأَلوهُما أَن يُحَدِّثاهم بِهذِه الأُمورِ في السَّبتِ المُقبل. فلَمَّا انفَضَّتِ الجَماعَة، تَبِعَ بولسَ وبَرْنابا كثيرٌ مِنَ اليَهودِ والدُّخَلاءِ الَّذينَ يَعبُدونَ اللهَ. فأَخَذا يُكَلِّمانِهم ويَحُثَّانِهم على الثَّباتِ في نِعمَةِ اللهِ » (١٣ : ٤٢ – ٤٣). الدخلاء الّذين يعبدون الله هم وثنيون أقبلوا على الإيمان بالله الواحد الخالق وصاروا قريبين من الدخول إلى جماعة شعب العهد، أي اليهود، والالتزام بالشريعة.

فما كان هذا النجاح الأول سوى المقدّمة لما سوف يحصل في السبت التالي: « ولَمَّا جاءَ السَّبت، كادَتِ المدينةُ كُلُّها تَجتَمِعُ لِتَسمَعَ كَلِمَةَ اللهِ. فلَمَّا رأَى اليَهودُ هذا الجَمع، أَخَذَهُمُ الحَسَد، فجَعلوا يُعارِضونَ كَلامَ بُولُسَ بِالتَّجديف » (١٣ : ٤٤ – ٤٥). الحسد هنا هو الغيرة الدينية من اجل الله. فالغيرة كانت الدافع لسجن الرسل بسبب اعلانهم قيامة يسوع (اعمال ٥ : ١٧) وهذا ما كان عليه بولس قبل اهتدائه (فيليبي ٣ : ٦).

أمام تصلّب اليهود كان لا بدّ من التوجّه إلى الوثنيين، تبعاً لنهج الرسل في التبشير، الّذي يبيّنه الرسولان بالقول: « إِلَيكم أَوَّلاً كانَ يَجِبُ أَن تُبَلَّغَ كَلِمَةُ اللهِ. أَمَّا وأَنتُم ترفُضونَها ولا تَرَونَ أَنفُسَكم أَهلاً لِلحَياةِ الأَبَدِيَّة، فإِنَّنا نَتوجَّهُ الآنَ إِلى الوَثَنِيِّين. فقَد أَوصانا الرَّبُّ قال: « جَعَلتُكَ نورًا لِلأُمَمِ لِتَحمِلَ الخَلاصَ إِلى أَقْصى الأَرض ». وما يُثبت تدبير الله الخلاصيّ هو ردّة فعل الوثنيين الّذين: « فَرِحوا ومَجَّدوا كَلِمَةَ الرَّبّ، وآمَنَ جَميعُ الَّذينَ كُتِبَت لَهمُ الحَياةُ الأَبَدِيَّة » (١٣ : ٤٨). ما دفع الرسل إلى توسيع عملهم الرسولي في كلّ الناحية.

رأى اليهود في نجاح الرسل لدى الوثنيين نوعاً من المنافسة الخطيرة فلجأوا إلى عملية غير مباشرة لإبعاد الرسولين، فأثاروا كرائم النّساء العابدات وأعيان المدينة، أي أصحاب النفوذ المقرّبين منهم، « وحَرَّضوا على اضطِهادِ بولسَ وبَرنابا فطَرَدوهما مِن بَلَدِهم. فنَفَضا علَيهِم غُبارَ أَقدامِهما وذَهَبا إِلى أَيقونِية. وأَمَّا التَّلاميذ فكانوا مُمتَلِئينَ مِنَ الفَرَحِ ومِنَ الرُّوحِ القُدُس » (١٣ : ٥٠ – ٥١). بهذه العبارة الأخيرة يرسم لوقا بكلمات قليلة الحالة الروحية للجماعة الجديدة

على هضاب الأناضول، وكان قد عبّر أكثر من مرة كيف أنّ الاضطهاد لا يعيق مسيرة كلمة الله بل يدفعها للانتشار بعيداً.

الرسالة في ايقونية ولسترة ودربة (اعمال ١٤)

«وذهبا إلى أيقونية»، تختصر هذه الكلمات مسافة ١٤٠ كلم بين انطاكية بسيدية وأيقونية، على الطريق الرومانية المعروفة ب «سباستيا» والتي بناها الامبراطور أغسطوس. إيقونية مدينة قديمة، يرجع عهدها إلى الحثيين. في زمن بولس كانت قد أصبحت مدينة رومانية معروفة باسم «كلاوديقونية» نسبة للامبراطور «كلاوديوس».

«وجرى مثل ذلك في أيقونية» يقول لوقا، أي بعد النجاح في التبشير، إذ آمن بالإنجيل كثير من اليهود واليونانيين، حصل اضطهاد من قبل اليهود، فلجأ الرسولان إلى لسترة ومن ثم إلى دربة.

تقع لسترة حوالي ٤٠ كلم إلى الجنوب من إيقونية. لم يكن في لسترة جماعة يهودية منظمة، بل بعض اليهود والعائلات المختلطة، مثل عائلة طيموتاوس الذي كان أبوه وثنياً وأمّه يهودية. سوف يرافق هذا التلميذ بولس الرسول في رحلته الرسولية الثانية.

يتكلّم الناس في هذه المدينة لغة محلّية، يدعوها كاتب اعمال الرسل باللغة الليقونية. وحصل فيها قصة تدلّ على معنى البشارة في أرض وثنية. بينما كان بولس يتكلّم مبشّراً بالإنجيل، رأى رجلاً مقعداً من بطن أمّه، لم يمشِ قطّ. وميّز فيه نعمة الإيمان، «فقالَ له بِأَعلى صَوتِه: «قُمْ فَانتَصِبْ على قَدَمَيكَ!» فوَثَبَ يَمشي» (١٤: ١٠).

أمام حادثة الشفاء هذه اعتقد الحاضرون أنّ الآلهة قد نزلت على الأرض، فصاحوا بلهجتهم المحلّية قائلين: «تَمَثَّلَ الآلِهةُ بَشَراً ونَزَلوا إِلَينا». وكانوا يدعون برنابا «زاويش» وبولس «هرمس». زاويش هو كبير الآلهة عند اليونانيين، بينما هرمس هو إله الفصاحة. اعتقدوا أنّ هرمس نزل في بولس لأنّه كان الخطيب. وبما أنّ النّاس كانوا يتكلّمون فيما بينهم بلغتهم المحلّية لم يستوعب الرسولان في البداية ما كان يحصل أمامهم، والخبرة جديدة بالنسبة إليهم، إذ إنّهم يبشّرون للمرة الأولى في جماعة وثنية بالمطلق. ففي هذه المنطقة تروي الاسطورة أنّ الآلهة زوايش وهرمس ظهرا في شكل بشر للزوجين فيلمون وباوتشي. فظنّ الحاضرون أنّ الاعجوبة تتكرّر الآن بسبب حادثة الشفاء. ووصل الخبر إلى كاهن صنم زاويش القائم عند مدخل المدينة، الّذي جاء بثيران وأكاليل لتزيين الذبيحة التي كان مزمعاً تقديمها للآلهة. هنا فقط فهم الرسولان ما حصل فقاما بعمل للتعبير عن استيائهم واستنكارهم: مزّقا ردائيهما وبادرا إلى

الجمع يصيحان فيقولان:

«أَيُّها النَّاس، لماذا تَفعَلونَ هذا؟ نَحنُ أَيضا بَشَرٌ ضُعَفاءُ مثلَكُم نُبَشِّرُكم بأَن تَترُكوا هذه الأَباطيل وتَهتَدوا إلى اللهِ الحَيِّ الَّذي صَنَعَ السَّماءَ والأَرضَ والبَحرَ وكُلَّ شَيءٍ فيها. تَرَكَ الأُمَمَ جَميعًا في العُصورِ الخالِيَة تَسلُكُ سُبُلَها، على أَنَّه لم يفُتْهُ أَن يُؤَدِّيَ الشَّهادَةَ لِنَفسِه بل يَعمَلُ مِنَ الخَير. فقَد رَزَقَكُم مِنَ السَّماءِ الأَمطارَ والفُصولَ المُخصِبَة، وأَشبَعَ قُلوبَكم قُوتًا وهَناءً» (١٤: ١٥ – ١٧).

عملة نقدية من أنطاكية سوريا من زمن ولاية أغسطس (٣٠ ق.م. – ١٤ ب.م.)

في هذه البشرى اعتراف بالإله الواحد الخالق: «نبشّركم بأن تتركوا هذه الأباطيل وتهتدوا إلى الله الحيّ الّذي صنع السّماء». إنّها بشرى موجّهة إلى الأمم الوثنية، نجد ما يوازيها في خطبة بولس في أثينا وفي بعض رسائله، حيث يعبّر عن اهتداء المسيحيين من أصل يوناني إلى الإله الواحد الحيّ الّذي أقام يسوع من بين الأموات: «فهُم يُخبِرونَ أَيَّ استِقْبالٍ لَقينا عِندَكم وكَيفَ اهتَدَيتُم إلى اللهِ وتَرَكتُمُ الأَوثانَ لِتَعمَلوا للهِ الحَقِّ الحَيِّ وتَنتَظِروا أَن يَأتِيَ مِنَ السَّمَواتِ ابنُه الَّذي أَقامَه مِن بَينِ الأَمْوات، أَلا وهو يسوعُ الَّذي يُنَجِّينا مِنَ الغَضَبِ الآتي» (١ تسالونيقي ١: ١٠). كان على الوثنيين الاهتداء إلى وحدانية الله قبل الإيمان بإنجيل يسوع المسيح ابن الله.

كان من الصعوبة بمكان صرف الجموع عن تقريب ذبيحة لهما. وما زاد الأمور تعقيداً وصول بعض اليهود من أنطاكية وأيقونية، فاستمالوا الجموع ورجموا بولس وجرّوه إلى خارج المدينة يظنّون أنّه مات. فجاء بعض التلاميذ الّذين قبلوا الإيمان في لسترة ووجدوا بولس مثخناً بالجراح ولكنّه ما زال حيّاً فرافقوه إلى داخل المدينة. وفي اليوم التالي ذهبا إلى دربة، التي كانت تبعد ٥٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من لسترة. في دربة، يقول لوقا: «بشّرا تلك المدينة وتلمذا خلقاً كثيراً». بعد هذا النجاح الأخير فكّر الرسولان بطريق العودة إلى أنطاكية في سوريا. لم يسلكا الطريق الأقصر من الشرق نزولاً إلى ابواب قيليقة وطرسوس ومنها إلى انطاكية سورية، بل أرادا زيارة الجماعات المسيحية الجديدة لحثّهم على الثبات بالإيمان رغم المضايق: «ثُمَّ رَجَعا إلى لُستَرَة فَأَيقونِيَة فأَنطاكِيَة يُشَدِّدان عَزائِمَ التَّلاميذ، ويَحُثَّانِهم على الثَّباتِ في الإِيمان ويَقولانِ لَهم: «يَجِبُ علَينا أَن نَجتازَ مَضايِقَ كَثيرة لِنَدخُلَ مَلَكوتَ اللهِ». فَعيَّنا شُيوخًا في

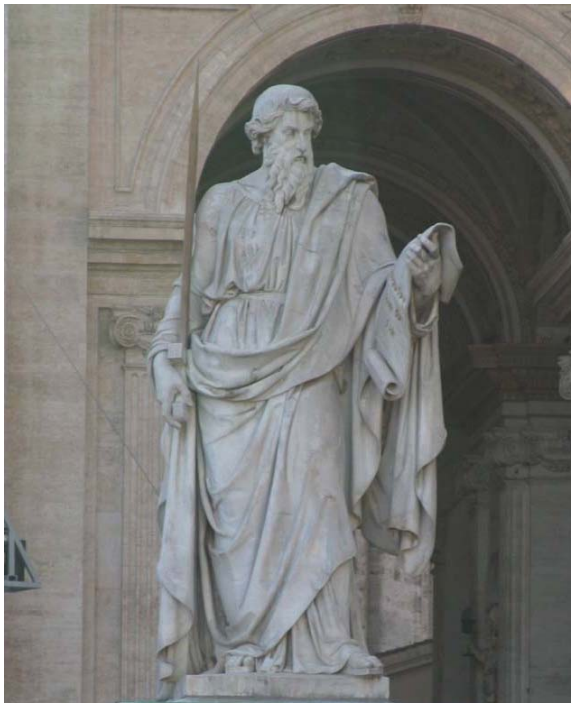

كُلِّ كَنيسةٍ وصَلَّيا وصاما، ثُمَّ استَودَعاهُمُ الرَّبَّ الَّذي آمَنوا به» (١٤: ٢٠ – ٢٣). يهدف تعيين شيوخ (كهنة) في كلّ كنيسة إلى تنظيم حياة الجماعة بعد رحيل الرسل. بعد الصوم والصلاة «اجتازا بسيدِيَة وجاءَا بَمْفيليَة، وبَشَّرا بكَلِمَة الله في بَرجَة، وانحَدَرا إلى أَطَّاليَة وأَبْحَرا منها إلى أَنطاكِيَةَ الَّتي كانا قد انطَلَقا منها، مَوكولَين إلى نِعمَة الله من أَجلِ العَمَلِ الَّذي قاما به» (١٤: ٢٥ – ٢٦).

رجع الرسولان إلى أنطاكية وكانت الرحلة الرسولية إلى قبرص والأناضول كانت قد استغرقت سنتين أو ثلاث سنوات. انتهت الرحلة، إذاً، في أواخر الأربعينيات من القرن الأول الميلادي. في كنيسة أنطاكية سوريا كان الأحبة بلهفة للقاء الرسولين وسماع أخبار الرسالة. وهكذا حصل عندما جمع الرسولان الكنيسة عند وصولهما «وأَخبرا بِكُلِّ ما أَجرى الله مَعَهُمَا وكَيفَ فتَحَ بابَ الإِيمانِ لِلوَثَنِيِّين» (١٤: ٢٧). هذا ما كان ينتظره التلاميذ في أنطاكية، ذلك أنّ الرسالة انطلقت من عندهم وهم جماعة مؤلّفة من مسيحيين من أصل يهوديّ ويونانيّ على السواء. وكان لا بدّ بعد عناء الرسالة وفرح اللقاء والمشاركة أن يأخذ بولس وبرنابا قسطاً من الراحة: «ثُمَّ مَكَثا مُدَّةً غَيرَ قَليلةٍ مع التَّلاميذ» (١٤: ٢٨).

رسالة مديوغوريه

٢٥ /٨/ ٢٠٠٨

يا أبنائي الأحباء،

اليوم أيضاً أدعوكم لتوبتكم الشخصيّة، كونوا أنتم الّذين يتوبون، وبحياتكم اشهدوا وأحبّوا واغفروا، واحملوا فرح يسوع القائم من الموت، في هذا العالم الذي مات فيه ابني، والذي فيه لا يشعر الناس بحاجة للبحث عنه واكتشافه بحياتهم. اعبدوه وليكن أملكم أملاً للّذين ليس لهم يسوع في قلوبهم.

شكراً لتلبيتكم ندائي